

زاوية مجاجة ودورها العلمي والجهادي

الدكتور / خالد بوشمة
كلية الحقوق . جامعة البليدة

تمهيد:

والعقائد وقواعد النحو والصرف وفنون
البلاغة والمنطق وبعض المبادئ في علم
الفلك... وهذا القسم لا يؤمّه غالبا إلا
المستظهرون لكتاب الله كلّ من طلاب
العلم الشريف.

وأما أساس تكوينها وظهورها في
الواقع الثقافي الجزائري، فهو كما قال
الدكتور سعد الله: "في المدن والأرياف
وفي الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة
عاش معظم المتصوفة يثّون عقائدهم
ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد
مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا مؤثرين
العزلة والعبادة، وكثيرا ما كانوا يعلمون
المريدين والعامّة مبادئ الدين أيضا، فإذا
اشتهر أحدهم بين الناس، أسّس له مركزاً
يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع ويعلم
فيه الطلبة، ويتبرّع الناس لهذا المركز،
فيكبر ويثرى ويتضاعف قصّاده ومريدوه

كانت الزوايا في ناحية المغرب
الإسلامي - وبخاصة المغربين الأوسط
والأقصى- تحتلّ مكان الصدارة بين
مراكز الثقافة، بل كانت من ناحية
أخرى الوسيلة الوحيدة لتثقيف المعوزين
والفقراء من أبناء الشعب، وكانت على
حسب ما يذكره المؤرخون مقسّمة
إلى قسمين اثنين، كلّ قسم منهما يقوم
بدوره أحسن قيام:

أ- فأما القسم الأول: فيقوم بتحفيظ
القرآن الكريم. وقد يؤمّه غالبا الغرباء
الذين سبق لهم أن تعلّموا الحروف
الهجائية، واستظهروا بعض السور من
آي الذكر الحكيم.

ب- القسم الثاني: فإنّه يقوم بتدريس
بعض فنون الوقت، لاسيما الفقهيات

الزوايا، بالإضافة إلى أنها مقرّ المتصوّفة، فباعتبارها مراكز للجهاد، ومرتع الرباط في سبيل الله. وكان - كما قال الدكتور سعد الله - عدد الزوايا في غرب الجزائر أكثر من شرقها، ولعل ذلك يعود إلى استمرار الجهاد في الغرب دون الشرق.

وفي هذا المقال سأتناول زاوية من زوايا العلم والجهاد في غرب الجزائر وهي زاوية مجاجة، التي سأتناولها بالبحث حسب الخطة التالية:

أولا - زاوية مجاجة.

ثانيا - دور زاوية مجاجة العلمي.

ثالثا - دور زاوية مجاجة الجهادي.

أولاً - زاوية مجاجة:

في هذا المطلب سأعرف الزاوية ثم أعرف مجاجة وفي الأخير أعرف زاوية مجاجة كما يلي:

1- تعريف الزاوية

الزاوية في اللغة من زوى، وزوى الشيء يزويه؛ نحاه فتنحى، وزويت الشيء؛ جمعته وقبضته، وانزوى القوم

ويصبح اسم المتصوف "المرباط" علما على المكان، ويصبح المكان يدعى بين الناس زاوية سيدي فلان أو رباط سيدي فلان، فإذا مات سيدي فلان، يدفن في الزاوية أو في الرباط، ويصير الضريح علامة على الزاوية. وكانت كل مدينة كبيرة أو صغيرة محروسة بولي من الأولياء، فهو الذي يحميها من العين ومن الغارات ومن نكبات الطبيعة ومن طمع الطامعين".

هذا وقد أدت الزاوية في الريف - كما يقول الدكتور سعد الله - دورا أكثر إيجابية من الزاوية في المدينة، فكانت عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضدّ الأعداء، فكان المرباطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم، ويتحالفون مع الأمراء المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد. فهذا سيدي محمد الحاج كانت له زاوية بزواوة، مازال سلاحه الذي كان يحارب به مع ضريحه بالزاوية إلى غاية الوجود الفرنسي. بل يمكن أن يقال: إنّ السرّ من وراء تشجيع الأتراك لإنشاء

بعضهم إلى بعض؛ إذا تدانوا وتضاموا،
والزاوية جمعها زوايا.

وأما المقصود بالزاوية هنا فهي:
عبارة عن مكان محاط بجدران وسقف
معد لتحفيظ القرآن الكريم وشتى المتون،
وتدريس العلوم الشرعية واللغوية.. الخ.

ويصف لنا الدكتور سعد الله الزاوية
بقوله: "كان بناء الزاوية يختلف عادة
عن بناء المسجد والمدرسة، فالزوايا
غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد
والمنزل، وهي في الجملة قصيرة الحيطان
ومنخفضة القباب والعرضات قليلة
النوافذ، وإذا كان للزاوية مسجد فهو في
الغالب بدون مئذنة، فالزاوية من الناحية
الهندسية غير جميلة، بالإضافة إلى أنها
كثيرة الرطوبة والعتمة، وشكل الزاوية
يوحى بالعزلة والتقشف والهدوء أكثر
مما يوحي بالاختلاط والثراء والحركة،
غير أن بعض الزوايا المعدة أصلا لسكنى
الطلبة ونحوهم كانت واسعة".

وهذا الوصف الذي قدمه الدكتور
سعد الله للزوايا يصدق على الزوايا المعدة
لتحفيظ القرآن، ولها دور تحفيظي،

فالطالب عندما يدخل مثل هذه الزوايا
يكون محدود الحركة غير منشغل بما يدور
حوله، مبتعدا عن الضوضاء والمشغلات،
فلا يركز إلا في الحفظ.

وعادة ما كانت تقام الزاوية بجوار
ضريح ولي من الأولياء أو صالح من
الصلحاء، فتنسب إليه تبركا بمجاورته،
وتشهيروا لها بشهرة من بنيت بجواره.
كما قد تنسب الزاوية إلى الجماعة.

2- تعريف مجاجة

مجاجة مدينة قديمة تقع في غرب الجزائر،
ما بين ولاية الشلف (الأصنام سابقا)
ومدينة تنس الساحلية المشهورة. حيث
تبعد عن ولاية الشلف بحوالي 20 كلم.

ومجاجة لغة من مجَّ الشراب والشيء
من فيه يمَّجُه مجًّا ومجَّ به: رماه.

قال ربيعة بن الجحدر الهذلي:

وطعنة خلّس، قد طعنت، مرشّة

يمَّج بها عرق، من الجوف، قالس

والأرض إذا كانت رياء من الندى،

فهي تمَّج الماء مجًّا، ولعل لهذا المعنى
سميت المدينة بهذا الاسم، فالمنطقة

معروفة بوفرة المياه.

3- تعريف زاوية مجاجة

زاوية مجاجة أسسها الشيخ محمد ابن علي أبهلول المجاجي. وهو نادرة الزمان، الشريف الأصيل والعلامة الجليل. تتلمذ على الشيخ سيدي محمد بن موسى الوجديجي التجيني مفتي تلمسان وعالمها.

أما والده فهو أبو الحسن أبهلول الوطاسي العارف بالله كانت طريقته سُنَّةً وأحواله سُنَّةً وتعبداته زكية مرضية، شيخ في الشريعة والحقيقة. قال أحمد ابن محمد المغراوي: كان أسلافه تشم فيهم رائحة الملك. وبنو سيدي أحمد بن القاضي الزواوي المدعو بوقطاش شيخ جبل كوكو وجد الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر المجاجي - صاحب كتاب المغارسة - وإخوته هم الذين آووا الشيخ علي أبهلول الوطاسي، وأخذوا عنه العلم الظاهر والباطن، ووقفوا عليه الأوقاف.

وبنو وطاس من خلفاء بني مرين وكانت لهم إمارة بالمغرب الأقصى بعد انقراض دولة بني مرين، وأصلهم من

بقايا دولة الملمثمين من صنهاجة. قبره ببلاد مجاجة وعقبه بها. وهذا البيت بيت علم وثروة عريضة وجاه ورياسة. قال محمد الأعرج الأغريسي (توفي في فاس سنة 1340هـ): منهم قاضي الأصنام الآن.

ويذكر أحمد بن محمد العشمائي: بأن طريقته الصوفية كانت شاذلية. وينقل لنا الشيخ محمد الأعرج الأغريسي: سنده لهذه الطريقة إلى الشيخ زروق الفاسي وهو نص فريد من نوعه وهذا السند هو: محمد بن علي أبهلول عن أبي الحسن علي أبهلول (والده) عن الشيخ احمد بن شاعة عن سيدي أحمد بن يوسف الرامودي عن محتسب الأولياء والعلماء سيدي أحمد زروق. وقال عنه الدكتور سعد الله: "ويبدو أن أبهلول المجاجي كان كالأخضري والثعالبي مشغلا بالعلم والزهد".

قال العلامة الشهير الشريف سيدي العربي المشرفي الحسني الإدريسي عن مؤسس الزاوية: هو من شرفاء بني حمود الحسني وقيل من شرفاء غرناطة بني عدي

وقبره مشهور، ومات رحمه الله تعالى
قتيلا سنة 1002هـ، وولد عام 945هـ،
ورثاه تلميذه علامة الجزائر سيدي سعيد
قدورة رضي الله عنهما بقوله:

مصاب جسيم كاد يصمي
مقاتلي ورزء عظيم قاطع للمفاصل
ألمت دواهي أذهلت كل ذي حجي
وأمرئ من مذهل غير ذاهل
فلم أر خطبا كافتقار أحبة
ثووا في الثرى ما بين صم الجنادل
ونحن نيام غافلون عن الذي

يراد بنا فويح نومان غافل
فهمنا بدنيا قد حلت وهي جيفة
وكل امرئ يلهو بها غير عاقل
فكم ذا أنا لم أتخذ زاد رحلة
كأنني من دنياي لست براحل
وما لي لم أعمل بما قد علمته
فيا أسفا من عتالم غير عامل
أضيع فيما لا يدوم مروره
حياتي كأن العيش ليس بزائل
فما زهرة الدنيا وزخرفها الذي
له هادم اللذات أسرع نازل
وأي سرور للذي ضاع عمره
وأنفقه في كل لهو وباطل

بن عبد الرحمن. وكان إماما هماما عالما
علاما زاهدا عابدا تفرد بهذه الأوصاف
الشريفة على سائر علماء وقته، واشتهر
بالصلاح والتقوى، وكان للناس فيه
اعتقاد عظيم، وكانت كراماته أوضح
من شمس الضحى، وهي دليل على
استقامته، وكانت له بركة عظيمة ودعاء
مستجاب، تشد إليه الرحال في المسائل
العلمية، هذب النقول ونقحها وكسا
علم التصوف طلاوة وبهجة، وله الباع
الطويل العريض في الشعر والقريض.

وكانت زاويته معدة لإقراء الضيف
وإيواء المجاهدين. قال الشيخ أبو الحسن
الشريف: خرجنا إلى ثغر تنس فلقينا
سيدي محمد بن علي، وأنزلنا بزاويته
مراجعة، وكنا في جوع ونحن نحو
1300 نفس. وقصدناه للزيارة فأكرمنا
خارج الزاوية لكثرتنا، وكانت خيولنا
ذكورا وإناثا، فقال لنا: اتركوها من
ألف بين قلوبكم يؤلف بينها، وأمرنا
بالجلوس على 24 جلسة، وأفاض علينا
الثريد واللحم والعسل والسمن. قال:
وبعد ذلك توفي الشيخ قدس الله سره

وتخفق في نأديه راية فتنة
 تلم بمفضول وتزري بفاضل
 فأعني به شيخ الشيوخ محمدا
 أبهلولا الباهي أجل البهال
 توفي شهيدا في تحنثه الذي
 ينال به في الخلد أفضل نائل
 إمام إذا ماجئته تجدنه
 لدى الدرس بحر العلم من غير سائل
 فما جئته في الدرس إلا وجدته
 من العلماء العاملين الأوائل
 له طيب أخلاق وحسن سياسة
 وهو المدارى كل قاس وجاهل
 فمن للأسارى والأرامل في الظما
 ومن للبرايا يوم صولة صائل
 ومن لفنون العلم نحوا ومنطقا
 وفقها وتوحيدا وفتوى لسائل
 لمنزله كانت تشدرحانا
 فمن راكب يسعى إليه وراجل
 ومن قاصد يبغي انكشاف ملمة
 ومن وافد يرجو التماس نوافل
 ففي طاعة الرحمن أنفق عمره
 فله من شيخ زكي الشمائل
 فما خاف في الرحمن لومة لائم
 ولم يخش في الحق قتلة قاتل

أنوح على نفسي وفقد أحبتي
 فقد هاج قلبي ذكر فقد الأفاضل
 ولم لا وأهل العلم بانوا وأقبرت
 ديارهم بعد اعمار المنازل
 كأن قد نأى عنا قتيلا فأصبحت
 عليه عيون دمعها مثل وابل
 لقد فقئت عين المكارم فانزعج
 لإطفاء نور وقت فقد القنادل
 تبدد شمل الدين وانهد ركنه
 لبدر فقدنا في الخلائق كامل
 فقدنا إماما ماله في خصاله
 نظير ولا في عصره من معادل
 على علم الأعلام غرة عصره
 حزنت وما حزني عليه بزائل
 يحق لوفد العلم أن يشهروا الأسى
 لنجم هوى من أنجم الأرض آفل
 خليلي ما أولى الأحبة بعده
 بفيض نفوس من بكاء ثواكل
 فأين الذي قد كان ركننا لشدة
 وأين الذي قد صار قصدا لنائل
 فأف لدهر جار فيه تطاولت
 على العلما الجهال أي تطاول
 أرى الغرب يقضي أمره بعده أسى
 تآمر أوباش ونهب أراذل

وراءك كم من تائر عن دم الذي
على تأره تسعى جميع القبائل
فمالك يوم العرض إلا جهنم
تقاد إليها صاغرا بالسلاسل
وإذا عشت في الدنيا حقير أفضي غد
تخلد في النيران أسفل سافل
أعزي بنيه والسري أبا علي
على قدر ماض من الله نازل
فيا أوليائي سلموا الأمر واصبروا
عليه وكفوا من دموع هواطل
وأبقاك للإسلام كهفأ أبا علي
مصونا على الأعداء وجمع العواذل
وقد صار روح الشيخ في جنة العلا
وأسكنه في الخلد أعلى المنازل
عليه من الرحمن أوسع رحمة
وأزكى سلام في الضحى والأصائل
ومن نظم الشيخ محمد بن علي أبهلول
المجاجي:
لقد فاز أهل الجد بالصدق والوفا
فحول رجال الله في حضرة القدس
أجل دأبهم حسب الإله وطوعه
وقد أعرضوا زهدا عن الجن والإنس
وأنفسهم تسمو على كل رتبة
وغابت عن الأكوان العرش والكرسي

أستجلب الخسران والطرود الردي
وأقوى البلايا عاجلا غير آفل
ومن قد تعدى طوره سفها ومن
له زين الشيطان قبح الفعائل
أحقا قتلت الألعبي تعمدا
على قول حق لا على قول باطل
أحقا دم الشيخ المصون سفكته
إلى أن سقيت الأرض منه بهاطل
أحقا عدو الله أنت تركته
على الأرض ملقيا قتيلا بناصل
أحقا رفعت السيف حتى ضربته
بقاطعة ضرب العدو المخاتل
أحقا صدور المؤمنين جرحتها
وفي فرح خلفت أهل الأباطل
جنيت على الإسلام أي جناية
وما الله عما قد فعلت بغافل
قتلت امرأ من شأنه العلم والتقى
فيا خير مقتول ويا شر قاتل
ستقتل كالحجاج سبعين قتلة
لأنك لم تترك له من مماثل
عدوت على الضرغام ياكلب خدعة
ولم يك كلب قط كفوا لنائل
عذابك في الدنيا لقتل وروعة
وهيهات تبجو لا نجا لقاتل

فليس لهم في غير ذي العرش مطلب
وما عندهم سوى التلذذ بالانس
وقال:

فطوبى لمن قد فاز منكم بلحظة
وشيد من لاحظتموه على الأوس
بجاه النبي الهاشمي محمد
وأصحابه أهل الصفا بلا دنس
إلهي بجاه هؤلاء وجاههم

وقدرهم لديك والعرش والكرسي
توسلت ارحم والذي اعف عنهما
وأسكنهما الجنان فضلا بلا بخس
ونلني توفيقا عليه توفي

ورزقا به أغنى على كل ذي نفس
كفاية أشرار الخلائق كلها
وسترا على الدوام من أجمل اللبس
وثم صلاة الله ثم سلامه

على خير خلق الله في الغد والأمس
وقد سأله العلامة مفتي الجزائر سيدي
الحاج محمد المطماطي عن حكم الله
في العبيد من المسلمين بأبيات يقول في
بعضها:

بأي وجه نرى استخدام أعبدنا
والخير فيهم بدا منهم لنا سرج
كيف التملك والرسول أخبرنا
بعد الشهادة لا ملك ولا حرج

إذ قد بدا فيهم الإسلام قبل فما
ملكهم من سبيل لا ولا نهج
يأتون قد عرفوا الدين معاملة

على التآسي بنهج الشرع قد عرجوا
فأجابه الشيخ سيدي محمد بن علي
أبهلول رحمته الله بأبيات منها:
و بعد فالمنع للملك محجته

بسمط نترك مثل الدر يتهج
فسبق إسلامهم للملك يمنعه
وما إليه سبيل تبتغي المهج
إذ لا يسوغ لنا بالرق ملكهم

والقلب منهم بالإيمان ممتزج
ومن يجيب بأن الأصل كفرهم
فليس في ملك مسلميهم حرج
فلتردّدنه بأن الأصل حجته

قد بطلت بانتهاج نهج ما لهجوا
إذ حيث ما ثبت النقل عليه فلا
عبء به وبذا أهل العلم قد لهجوا
و من يرى حدث التقليد تكذبه

حلية الملك إذ للكفر قد خرجوا
فقول ذا غير مقبول وحجته
ليست بمرضية وما لها أرج
فكيف يقبل قول أو يباح به
ملك جميع عوام الناس ذا سمج

فردّ ذا القول يكفي فيه ما شرحوا
هل الكلام فهم لجمعنا سرج
أمن يريد الهدى والرشد يطلبه
ومن يريد النجاة ما بدت لجج
فالمنع في الدين والدنيا النجاة
وقددلت دلائله وشهدت حجج
وله أيضا في ألقاب الإعراب والبناء:
من يبتغ العز يرفعن همته
بالضم عن كل مخلوق يرى عجبا
و بين عينيه ينصبن منيته
بفتح باب لئليث الموت قد نصبا
ويخفض النفس لا يبغي لها شرفا
بكسر شهوتها ينال ما طلبا
بذا يجر لها النفع مجاهدها
فإن عصته رمى بسهمه عطا
واجزم على الله ونفسك إذا اضطربت
وبالسكون يكون الجزم خذ أدبا
إعراب هذا الذي قدرت خديا فتى
لم يعربنه كذا من نحوه صعبا
أعرب به كل فعل قد بدا فترى
منه قبول إله العرش قد قربا
نظم الحقير الذليل عند ماله
محمد بن علي ملجأ الغربا
رب العباد توصلت بأحمدا أن

تغفر ذنوبي ذنب الوالدين حبا
صلى عليه إله العرش ما برزت
دنيا وأخرى لقلب بالحبيب صبا
وقد مات الشيخ محمد بن علي
أبهلول المجاجي مودة غامضة، غير
أن أتباعه ينعتونه بالشهيد، ويسمونهم
بسفيان العابدين، وأدّى دورا هاما في
الجهاد ضد الأسبان. وقتل قتلة شنيعة
حين طعنه بعضهم بخنجر طعنة، ظل
بعدها حيا بعض الساعات فقط، ثم لفظ
أنفاسه الأخيرة.

هذا وقد شكك الدكتور سعد الله في
تاريخ وفاته الذي ذكرناه آنفا، ورجح
تاريخ الوفاة في سنة 1008هـ، ولم يعلل
ترجيحه هذا. ولسيدي محمد بن علي
أبهلول المجاجي أحفاد فضلاء نجباء علماء
أجلة، فكان منهم الفاضل الجليل والشهم
الأصيل باش آغا السيد أبو طيبة بن آمنة،
ومنهم العلامة الجليل والجهيد الأصيل
الشيخ السيد محمد بن عشيظ وغيرهما.

ثانيا - دور زاوية مجاجة العلمي.

كانت زاوية مجاجة تعنى بالتعليم
الثانوي، ولما يتم الطالب تحصيله العلمي

جمرة، وكتاب الشفا للقاضي عياض.
وبعض كتب السنن، كسنن أبي داود.

• مصطلح الحديث بألفية العراقي.

• الفقه المالكي برسالة ابن أبي زيد

القيرواني ومختصر ابن الحاجب الفرعي
ومختصر خليل. وشروحهما.

• التوحيد أو علم الكلام بالمنظومة

الجزائرية وعقائد السنوسي الثلاث.
ومنظومة ابن زكري.

• أصول الفقه بجمع الجوامع

للسبكي ومختصر ابن الحاجب الأصلي،
ومفتاح الشريف التلمساني.

• القراءات بمنظومة الجزري والخراز

وابن بري والشاطبيتين.

• التصوف بدراسة حكم ابن عطاء

الله وكتاب إسقاط التدبير له أيضا.
وكتب زروق الفاسي.

• الوثائق منها الوثائق البونية،

المهذب الرائق لموسى المازوني. والعقد
المنظم للحكام لابن سلمون.

• أما العلوم اللغوية ونحوها فقد

كانت لا تخرج أيضا عن المواد التقليدية

في هذه المرحلة، إما أن ينصرف إلى
الرعي والفلاحة أو التجارة، وإما أن
يشق طريقه إلى تلمسان وفاس لتحصيل
التعليم العالي على يد شيوخ مرموقين،
وقد كان الشيخ أبهلول كثيرا ما يحث
طلبته النجباء على السفر للاستزادة من
العلم. قال الدكتور سعد الله عن هذه
الزاوية: "كانت مشهورة بعلمائها
وطلابها فكان أهل تلك النواحي
(ومنهم أهل مليانة) يقصدونها للقراءة
الثانوية، قبل أن ينتشروا في الأرض بحثا
عن المزيد من العلوم في مدينة الجزائر
وتلمسان وفاس وغيرها".

ومن خلال الإطلاع على كتب
التاريخ وتراجم القطر الجزائري يتضح
لنا العلوم التي كانت تدرس في الزوايا
التي كانت تعنى بالتعليم الثانوي. وهذه
المواد وكتبها هي:

• تفسير القرآن الكريم بعدة كتب
منها تفسير ابن عطية وتفسير الثعالبي
وتفسير السيوطي.

• الحديث الشريف، وخصوصا
صحيح البخاري، ومختصر ابن أبي

ويضاف إلى ذلك هبوط مستوى التحليل والاستنتاج وشيوع روح التصوف لدى مدرسيها أيضا.

وهذه أهم هذه العلوم:

- النحو بالأجرومية وألفية ابن مالك وشروحها كالمكودي.
- الصرف بلامية ابن مالك في التصريف.
- فقه اللغة.

- البلاغة بجوهرة الأخصري وخواشي السعد التفتازاني ومتنه وتلخيص المفتاح.
- العروض بالخزرجية مع شرحها للشريف الغرناطي.
- المنطق بالسلم المروتن للأخصري وتهذيب السعد والجمال للخونجي ومختصر السنوسي.

وأصدق تعبير عن مكانة زاوية مجاجة في الحركة الثقافية في تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، هو ما قاله ابن سليمان في كتابه كعبة الطائفين ونقله سعد الله: أنها "دار علم وتقوى". وقال عنها حشلاف بأنها: "كبيرة القدر كثيرة البذر ويقصدها

المتعلمون والمضطرون وشهرتها تغني عن التعريف". و أكبر دليل على هذا الكلام هو: هذه الكوكبة العظيمة التي تخرجت منها، سواء من أبناء المنطقة، أو من أبناء المناطق الأخرى والذين خدموا العلم إما بالإفتاء أو القضاء أو التدريس أو التأليف، ونذكر منهم من يلي:

1- أبو علي المجاجي

الشيخ الفقيه وارث علوم أخيه سيدي محمد بن علي، كان من العلماء العاملين والصلحاء الكاملين، بلغ الغاية في علم المنقول والمعقول. له حاشية على الشيخ خليل، اختصرها جدا. ورآها الشيخ الحفناوي عند بعض علماء شرشال. ويعتبر هذا الشيخ مع أخيه من المؤسسين للزاوية، ولكن شهرة أخيه جعلت المؤرخين ينسبون هذه الزاوية إليه دون أخيه المترجم له.

وقد مدحه وأخاه وأباه صالح زمانه العلامة أديب الدنيا سيدي عبد الله بن حواء الرقيق (بالتصغير) فقال:
وبذوي العلوم والعنتاية
والرقى في معارج الولاية

سيدنا علي البهلول

و وارثيه الجلة الفحول

ويعني بوارثيه: سيدي محمد بن علي
المجاشي وأخاه سيدي أبا علي.

ومن ذرية هذا الإمام الفاضل
الأجل ذو المزايا العديدة والفضائل
المديدة الشيخ السيد "هني" الذي
تشدد له الرحال وتخضع له رقاب
الرجال، فله زاوية يقصدها المتعلمون
والمضطرون ثم صار أمرها إلى ولده
قاضي القضاة على دائرة الأصنام
قاطبة الشيخ السيد محمد وله جاه
معتبر وكلمة نافذة وهمة عالية، ولما
مات خلف أولادا أجلة وبدور أهلة
نخص منهم بالذكر الفاضل الجليل
والشريف الأصيل صاحب الفضائل
باش آغا مجاجة السيد أحمد الشريف
وصنوه المبجل المحترم السيد مصطفى
النائب المالي بالولاية العامة.

وقد جمع أحدهم شمائلهم
وفضائلهم في منظومة سماها: طراز
الدباجة المجمولة في محاسن مجاجة،
والتي تضم تسعين بيتا.

مطلعها:

الله أكبر كل الحسن في العرب
وأكمل الحسن في أشرف النجب
لكن أكملهم حسنا ومنقبة
أشرف مجاجة في أشرف الحقب
من أهل دائرة الأصنام آونة
آل العرف بالبهلول في العرب
قطب العوالم مولانا الهمام "علي"
وهل لشمس الضحى في الصحون طلب
لاسيما دوحتاه المقتدى بهما
في سائر الأرض من جار ومن جنب
بحر الهدى والندى والعلم قاطبة
أبو علي عالي القدر والنسب
إلى أن قال:

الشيخ هني الهنا في سلالته
بالآل والمال أعقابا على عقب
والعالم العامل ابنه مباشرة
أقضى القضاة على الأصنام والنصب
محمد الغيث أن يجد على طرب
لكنه الليث أن يحمد على غضب
والعالم والعامل الأربا من الأربا
محمد بن علي أعجب العجب
قطب المدارك شهيد الدار محتسبا
لله فيما به أفتى لمغتصب

ثم قال:

لو لم يكن منه إلا من رأيتهما
بالعين في حضرة الأصنام في نسب
السيد السند المشهور بينهم
بكنية قبل الاسم واللقب
هما أبو طيبة من طيب سيرته
وابن يمينه من يمن له عجب
السيد الحاج والآغا الأمير على
شتى قبائل بالإحسان والحسب
وقال:

الفارس البطل الحامي الديار وإن
ينأ ابن عشيظ العالي على الشهب
ياليت مجاجة الغراء ترحمه
ان احتاج الشريف الطريق وبني
2- عبد الرحمن بن عبد القادر الراشدي
المجاجي.

هو عبد الرحمن بن عبد القادر
الراشدي المجاجي، وينحدر من سلالة
الشيخ أحمد بن القاضي الغبريني الزواوي
المدعو بوقطاش شيخ جبل كوكو في
منطقة بجاية وبالضبط أربعاء نيت ايراثن
من أعيان بيوتات الجزائر، والذي هاجرت
عائلته إلى مجاجة بعد غزو بربروس لجيجل،

والذي بدوره ينحدر من سلالة أبي العباس
أحمد الغبريني صاحب كتاب عنوان
الدراية.

ويرجع الفضل إلى عائلة هذا الإمام
في تأسيس هذه الزاوية، حيث هي
التي آوت الشيخ علي أبهلول الوطاسي
وأخذ أبنائها عنه العلم الظاهر والباطن
ووقفت عليه الأوقاف.

ولد الشيخ المجاجي في بلدته مجاجة،
وفيها ترعرع ونشأ، ولم تنقل المراجع
تاريخ ميلاده، ولم تشر إلى ذلك لا من
قريب ولا من بعيد، لكن الشيء الأكيد
أنه ولد في القرن العاشر الهجري وما
أظن أنه أكبر من شيخه محمد بن علي
أبهلول المجاجي الذي ولد سنة 945هـ،
ومنه نرجح أنه ولد بعد هذا التاريخ.

تلقى تعليمه الثانوي في هذه الزاوية
على يد شيخه محمد بن علي أبهلول
المجاجي ثم رحل إلى تلمسان وفاس
حيث تلقى فيهما تعليمه العالي ثم عاد
إلى بلدته مجاجة يث العلم ويصنف
التصانيف، ومن بديع تصانيفه كتابه
التعريح والتبريج في ذكر أحكام المغارسة

وقد أخطأ الأستاذ عادل نويهض في كتابه معجم أعلام الجزائر. عندما اعتبر الشيخ المجاجي من علماء القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، وهذا الالتباس، نشأ - والله أعلم - لأن الشيخ الحفناوي لم يذكر تاريخ الوفاة.

أما صاحب كتاب القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبه بالمغربين الأقصى والأوسط، فقد ذكر أنه توفي في القرن العاشر هجري ولم يزد، وهذا بعيد، لأن شيخه محمد بن علي أبهلول المجاجي قد توفي في بداية القرن الحادي عشر، وهو توفي بعده، لأنه كتب كتابه إعانة أهل الفضل والصلاح... بعد وفاة شيخه هذا.

3- سعيد قدورة

هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم. المعروف بقدورة. الجزائري الدار، التونسي النجار. كان رحمه الله عالما متفنا زاهدا ورعا موصوفا بالصلاح، ولي الفتوى بالجزائر فأحسن فيها، أحد أئمة المعقول والمنقول، صاحب "الشرح على السلم" في المنطق والحاشية على "شرح الصغرى" للشيخ السنوسي.

والتصيير والتوليج، وهو كتاب في فقه المغارسة، لم يفرد بالتأليف من سبقه، وأصبح ملاذ الطلبة والشيوخ على السواء فيما بعده في موضوعه. كما ألف كتاب إعانة أهل الفضل والصلاح على قراءة ما شرحه العارف بالله من الأحاديث الصحاح، حيث زوده بكثير من التفريعات الفقهية، مع العلم أن بن أبي جمرة اقتصر في شرحه للمختصر على الجواني التربوية والروحية، فيعد عمل الشيخ المجاجي هذا تكملة لعمل الشيخ ابن أبي جمرة، ومواصلة السير على خطى المؤلفين المالكية، الذين عادة ما يدمجون الجانب الفقهي مع الجانب التربوي في مؤلفاتهم الفقهية.

وأما تاريخ وفاته، فالوحيد الذي ذكر ذلك محمد البشير ظافر الأزهري في كتابه اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة. نقلا عن كتاب فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار أهل القرن الحادي عشر للعلامة المؤرخ الشيخ مصطفى بن فتح الله نزيل مكة؛ وهي سنة 1020هـ.

الشيخ محمد بن علي أبهلول المجاجي والشيخ سعيد قدورة والشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري والشيخ مهدي وغيرهم، روى عنهم الحديث والفقه وغيرهما، وأجازه شيوخه، وتصدّر للإفتاء ببلده، وكانت حافظته ممّا يقضى

منها بالعجب، وقدم مصر في سنة 1074هـ قاصدا الحج، فلما قضى حجه رجع إلى القاهرة واجتمع به فضلاؤها وأخذوا عنه وروى هو عن علمائها كالشيخ سلطان والشمس البابلي والنور الشبرامسلي وأجازوه بمروياتهم ثم تصدّر للإقراء بالأزهر، واشتهر بالفضل، وحظي عند أكابر الدولة، ثم رحل إلى الروم فمّر في طريقه على دمشق وعقد بجامع بني أمية مجلسا اجتمع فيه علماءها، وشهدوا له بالفضل التام، وتلقوه بما يجب له، ومدحه شعراؤها، واستجاز منه نبلاؤها، ثم توجه إلى الروم فاجتمع به أكابر الموالى وبالغ في إكرامه

شيخ الإسلام يحيى المنقاري، ثم رجع إلى مصر مبجّلا معظما مهابا موقّرا،

اختار زاوية الشيخ العارف بالله محمد وأخيه أبي علي ابن أبهلول الواقعة قرب تنس لشهرة أبهلول الكبيرة في العلم، ولأنّه حج مع شيخه المطمطي سنة 993هـ. وزارها سنة 1004هـ أو 1005هـ.

بعد وفاة محمد بن علي أبهلول المجاجي بقي سعيد قدورة في زاوية مجاجة دارسا فيها مدة سنة على أخيه الفقيه الشيخ أبي علي أبهلول وغيره. ثم اتجه إلى تلمسان وأخذ عن الشيخ سعيد المقرئ وغيره. وأخذ عنه ولده الشيخ أبو عبد الله، وسيدي أبو مهدي عيسى الثعالبي، والفقيه محمد بن إبراهيم الهشتوكي، وغيرهم. توفي في شوال سنة 1066هـ.

4- يحيى الشاوي

يحيى بن الفقيه الصالح محمد ابن محمد بن عبد الله بن عيسى، أبو زكريا النائلي الشاوي الملياني الجزائري المالكي. ولد في مدينة الجزائر، وقرأ بها وبمليانة بلده على شيوخ أجلاء صالحين ومن شيوخه العلامة المحقق سيدي

5- الشيخ أبو القاسم المجاجي

الشيخ الفقيه أبو القاسم اليزاغتي. ولد في أول القرن الثالث عشر. ومات عام أربعة وثمانين منها. ودفن بمجاجة. وأصله من الجزائر. وتفقّه بأمر عسكر وتلمسان وتضلّع بالمنقول والمعقول، وصارت الفتوى إليه من كلّ ناحية، وتقلّد قضاء القضاء بمدينة الأصنام أوائل الاستيلاء الفرنسي، وله شرح على كشف الأسرار عن علم الغبار. في علم الحساب للقلصادي الذي اختصره من كتابه "كشف الجلباب عن علم الحساب"، وله أيضاً شرح ملحّة الإعراب للحريري، وشرح نظم مقدمة ابن آجروم لابن الفخار أجاد فيها.

6- عبد القادر بن يسعد البرذعي.

ومن العلماء الذين تخرّجوا من زاوية مجاجة على يد محمد بن علي أبهلول المجاجي الشيخ عبد القادر بن يسعد البرذعي؛ دفين قرية الدبة قرب قلعة هواره (غيليزان) وكان هذا الشيخ يستكتب اللاجئين الأندلسيين للنسخ، وأسس خزانة للكتب وشحنها بأمهات

وقد ولي تدريس الأشرفية والسليمانية والصرغتمشية وغيرها، وأقام بمصر مدة ثم رجع إلى الروم فأنزله مصطفى باشا صاحب السلطان في داره، ثم رجع إلى مصر وصرف أوقاته إلى الإفادة والتأليف وله مؤلفات عديدة في الفقه وغيره، منها حاشية على " شرح أم البراهين " للسنوسي نحو عشرين كراساً، و" نظم لامية في إعراب الجلالة " جمع فيه أقاويل النحويين، وشرحها شرحاً حسناً أحسن فيه كلّ الإحسان، وله مؤلف صغير في "أصول النحو" جعله على أسلوب " الاقتراح " للسيوطي، أتى فيه بكل غريبة وجعله باسم السلطان محمود وقرض له عليه علماء الروم. كما ألف في فن جديد يصح أن يصطلح عليه بالتفسير المقارن، وذلك بكتابه المحاكمة بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أتى فيه بكل عجيبة، ودل على معرفته الواسعة باللغة. سافر في آخر أمره إلى الحج بحراً فمات وهو في السفينة في عشرين شهر ربيع الأول سنة 1096هـ.

الكتب، وقد بقيت هذه الخزانة رغم وجودها في بادية منقطعة محتفظة ببعض ما تبقى من الكتب، ومن أهم ما كانت تحتفظ به هذه المكتبة، وعثر عليه منذ خمس سنوات كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة منقول من نسخة المؤلف، وعليه تقرير للعلامة الشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب المعيار قبل هجرته إلى المغرب، ويمتاز هذا التقرير الذي نقل من خطه أنه ترجم فيه لصاحب الدرر المكنونة ترجمة وافية، أفضل من التي في نيل الابتهاج والبستان.

7- سيدي علي الشريف.

سيدي علي الشريف بن أحمد فإنه كان من أهل الفضل والصلاح والنجابة والفلاح من صغره... فقرأ القرآن على والده ثم على الولي الشهير سيدي علي بن أحمد وكذا بعض العلم ثم ظهر له وسافر هو وتلميذه القطب الشريف سيدي عبد الرحمن بن علي ابن عثمان المشهور على الألسنة سيدي دحو بن زرفة إلى مجاجة عند العلامة الأشهر القطب

الأكبر شيخ الشيوخ على الإطلاق ومن ترجع الناس إليه في المسائل عند الشقاق سيدي محمد ابن علي أبهلول المجاجي ثم الوطاسي للقراءة فمكتنا، إلى أن تمهرا في كل علم، وأخذاه عن الطريقة الشاذلية ثم أمرهما بالرجوع للمعسكر، وقد أمر سيدي دحو بأن يكون تلميذا لسيدي علي الشريف ولا يفارقه إلى الموت، فرجعا معا واشتغلا ببث العلم.

8- عبد الرحمن بن محمد بن الخروب.

نظم عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي رحلته من مجاجة إلى مكة المكرمة في قصيدة مطولة فصيحة سنة 1063 هـ وهي تبدأ على النحو التالي:

نشق الفيافي فدفا بعد فدفا
جبالا وأوعارا وأرضا وطية
فتنا بواد قد يسموه أهله
بفاطمة الزهراء بيت الرسالة
وأبيار عز فإن شربنا من مائهم
وبتنا تجاه البئر عند الرملة
و ثم نزلنا معطنا بمياهه
يسمى حليصا عند كل قبيلة

وختامها:

9- عبد الرحمن بن عيسى بن عثمان.

كان من شرفاء غريس، يتصل نسبه بمولانا إدريس ملك المغرب، وهو من أبناء راشد بن يحيى، الذي نحا نحو هواره وتزوج منهم بامرأة ولدت له أحمد وإبراهيم وانتقل إبراهيم إلى طنجة وأحفاده يدعون أولاد سيدي إبراهيم الراشدي وبقي أحمد في موضعه إلى أن مات، ومنه ينحدر هذا الإمام. تفقه على الشيخ عبد القادر بن خدة والشيخ بن علي والشيخ محمد بن علي أبهلول المجاجي وعنه أخذ الطريقة الشاذلية وله رحمه الله تلامذة، منهم السيد عبد الرحمن الدرعي والسيد محمد بن حساء.

10- أبو يعقوب يوسف بن علي.

هو أبو يعقوب يوسف بن علي من أبناء يوسف بن علي بن عامر، ويتصل نسبه بإدريس بن عبد الله الكامل. كان فاضلا عابدا ورعا زاهدا كثير الصوم قليل النوم، وكان بينه وبين السيد أحمد بن جلال المشرفي من ذرية سيدي يوسف بن عيسى الشريف الحسني ما يسوءه ثم

ونظمها عبد الرحمن نعته
ولابن الخروب جده به ينعت
وأما أبوه فهو يسمى محمدا
فيعطيه ربي رحمة بعد رحمة
وأمه أيضا والأقارب ثم من
قد انتمى لهم من جدود قرية
وكل أخ في الله أيضا تـعـمـه
شفاعة غوث المذنبين العظيمة
مجاجي الأصل ثم دارا ومنشأ
ورب إليه العرش يدخله الجنة
بتاريخ عام ثالث لوقوفنا
من الحادي عشر بعد ستين

وقد أخبر المجاجي فيها أنه التقى
بالشيخ على الأجهوري بمصر، وزار
في الأسكندرية قبر أبي العباس وقبر ابن
الحاجب، ومن الذين حجوا معه أبو
الحسن بن ناجي، صاحب الخنقة الذي
كانت له قرابة مع أمير ركب الحجاج
الجزائريين، وأخبر أن ابن ناجي قد
فارقهم عند بلدة ليانة ووصف مكانته
في قومه ومكانة أمير الركب وأملاكه
في الزيبان وعلاقته بالسلطة.

أصلح بينهم. تفقه على الشيخ محمد بن علي أبهلول المجاجي، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية.

11- الحاج المشرقي بن الحاج قدور بن سيدي قويدر.

وهو من شرفاء مجاجة أهل العرض المصون والدين المتين، رئيس الطريقة الشاذلية، الشيخ البركة الزاهد الناسك شهير الضريح والزاوية ببلد العطاف ببطحاء وادي الشلف، كان صواما للدهر قواما لليل مداوما على الذكر والوعظ والزهد والزهادة، كان ﷺ ازداد من أبيه المذكور وأمه الست محجوبة بنت البركة الشيخ السيد الحمياني، وذلك في عام 1239هـ، وفي عام 1245هـ توفيت والدته، وهو إذ ذاك عمره ست سنين وبقي في حجر أبيه إلى أن بلغ سبعة عشر سنة، فقدمه للمكتب فقرأ القرآن العظيم في بلدة العطاف الشارقة في عرش عز الدين فوجده رجل من السياح في المكتب فوضع يده على رأسه وهو في وسط الطلبة، وقال له: هذا الرأس ستدخل تحته رؤوس كثيرة، وقال للمعلم: احفظ

بالك مع هذا الصبي وأوصاه به، وفي عام 1250هـ رفعه والده لجامع سيدي بالعربي الشريف فبقي عنده وسافر أبوه إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج وذلك في عام 1260هـ ثم حج بعدها عدة مرات إلى أن مات هناك وحين توفي والده وكان عمره إثنين وعشرين سنة، وقد حفظ القرآن العظيم، فحينئذ زوجه بالعربي المذكور ابنته، وبقي معه في محله إلى أن مات عام 1316هـ. وأصبح قطبا في الطريقة الشاذلية، تمسك بها عن الشيخ سيدي عدة بن غلام الله بواسطة السيد الحاج محمد البوعبيدي دفين العطاف. ودام رحمه الله على فعل الخير والصوم والصلاة والوعظ وإعطاء الفقراء والمساكين، إلى أن قبضه الله إليه ليلة الاثنين ثمانية وعشرون يوما من شهر جمادى الأولى عام 1341هـ.

وقد جمع شمائله الشيخ الجيلالي بن الجيلالي بن عبد الحكم العطافي في منظوته، حيث يقول في مطلعها:

الحمد لله الذي قد خـصنا
بـالـهـاشـمـي المصطفى المرونق

ثم يقول:

وبعد فاعلم يا أخي واصغ إلى

شمائل قد حصرت في المشرق

الزهد والورع والتورع

وعدم النوم فقل المقلق

فهكذا خذ دأبه وصنعه

والصوم دائما في حر محرق

وإن أتى الوعظ فقل كأسد

يجول في البيدا في كل طرق

يفيض كالبحر لكل جهة

يعطي المسائل بلا تملق

يبدو على الزوار من خلوته

كشمس أشرقت على الحقائق

قد باع دنياه بآخرته

وقال جورك غير لائق

يبادر الحق ولا يكتمه

يلطف الناس من الشريقي

إلى أن يقول:

فهنيء العطاف قد سادوا على

الأقطار فاحذروا من التفرق

سدتم على الأقران بالمجد وبال

فضل المضعف كجبل طارق

رغما على الحساد قد رقيتم

لقمة المجد بفضل الخالق

وهكذا سيرة أسلافكم

مع شيوخ قد مضت في السابق

كعدة "الفرد، فقل و" أحمد "

وشيوخه ثم الإمام المشرقي

ثالثا - دور زاوية مجاجة الجهادي

كما كانت الزوايا عبارة عن

رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء

فكان المرابطون يقودون أتباعهم في

الحروب الجهادية، وينصرون المجاهدين

ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون

مع الأمراء المكافحين من أجل الدين

وحماية البلاد.

ومن بين الزوايا التي اشتهرت بهذه

الوظيفة الجهادية، بالإضافة إلى الوظيفة

التعليمية والتنويرية واستقبال الطلبة من

كلّ حذب وصب، زاوية مجاجة، أعني:

زاوية محمد بن علي أبهلول المجاجي،

قال عنها العلامة الشهير الشريف سيدي

العربي المشرقي الحسني الإدريسي:

"وكانت زاويته معدة لإقراء الضيف

وإيواء المجاهدين. قال الشيخ أبو الحسن

الشريف: خرجنا إلى ثغر تنس فلقينا

سيدي محمد بن علي، ونزلنا بزاويته

م حاجة وكنا في جوع ونحن نحو 1300 نفس. وقصدناه للزيارة فأكرمنا خارج الزاوية لكثرتنا". بل من أسباب موت مؤسس الزاوية هو تأييده للمجاهدين وتسخير زاويته لإيوائهم وإطعامهم، وهذا يدل على أن زاوية مجاجة لم تكن من نمط تلك الزوايا التي كانت تخذل وتخدم الاستعمار. بل كانت من الزوايا الحرة التي جمعت بين العلم والعمل.

الخاتمة

وفي ختام هذا العرض فإنه مهما كتبنا ومهما دبجنا فإننا لن نستطيع أن نوحي فضل زوايا العلم والجهاد في الجزائر على الجزائريين، والتي كانت السبب في الحفاظ على العقيدة واللسان في بلد طالما كان عرضة للهجمات الصليبية

عبر العصور وكان ختامها استعماراً استيطانياً من أبشع أنواع الاستعمار، والذي عمل طوال قرن وثلث القرن من الزمان على طمس الهوية، وتغييب اللسان العربي، ولكن الله تدرك هذه الأمة بخريجي زوايا العلم والجهاد، أمثال الأمير عبد القادر والمقراني والشيخ الحداد.. الخ، الذين حملوا لواء الجهاد على العكس من الطرق الصوفية في سائر العالم الإسلامي التي لم يكن الجهاد من أبعدياتها التربوية وذبوا عن حياض الأمة، وربطوا العامة بالهوية الإسلامية والأصالة الجزائرية واللسان العربي المبين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.